المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد :

فإن اتصال السماء بالأرض قديم قدم البشرية، فمنذ أن هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، ونور الوحى يضىء لأهل الأرض طريقهم فى الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، وعبادته على الوجه الصحيح، وكلما انحرفت البشرية عن وحى السماء كلما تردت إلى الوثنية فى العبادة، وإلى الضنك فى المعيشة وإلى العذاب فى الآخرة.

يقول تعالى ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [1] والأنبياء هم صفوة الله من خلقه، اختارهم من بين عباده ليبلغوا الناس عن الله، ما يجب وما يجوز، وما يستحيل فى حقه سبحانه وتعالى ويرسموا للبشر طريق الفلاح فى الدنيا والآخرة.

ولقد اقتضت حكمة الله أن يرسل إلى كل أمة من الأمم البشرية على اختلاف ألسنتهم، وألوانهم، وأوطانهم، رسلاً مبشرين ومنذرين، يقول تعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [2].

---

(١) سورة طه الآيات (١٢٣ ـ ١٢٧).

(٢) سورة فاطر الآية (٢٤)

ولقد أنبأنا القرآن الكريم عن هؤلاء الرسل على وجه الإجمال وذكر عددًا منهم على سبيل التفصيل يقول عز وجل ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[1].

هؤلاء الرسل أنذروا قومهم ومن تلك الأمم من آمن وصدق، ومنهم من كذب وكفر، واستبعدوا أن يرسل الله بشرًا فأنكروا النبوات، ووقفوا فى وجه رسلهم موقف العناد والمكابرة - وُقد وجد المكذبون منذ عهد سيدنا نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى وعيسى إلى عهد سيدنا محمد - بل ووُجدوا فى المجتمع الإسلامى بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، بل وظلوا إلى العصر الحديث وإخوانهم فى الغيِ والضلال هم الماديون والملحدون ومن على شاكلتهم من العلمانيين وأشباههم.

لقد تتبعت فى هذه الدارسة شبهات هؤلاء المنكرين منذ عهد سيدنا نوح عليه السلام إلى عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، مرورًا بالقرون من بعده، وانتهاءً بالعصر الحديث.

وبينت الأصول المتشابهة التى استند إليها المنكرون للنبوات، وعرضت ردود القرآن الكريم المفحمة عليهم.

وعند التعرض للمنكرين للنبوات فى العصر الحديث، فندت شبهاتهم وأقمت الحجة عليهم بالأدلة العلمية مستخدمًا نفس الأسلوب الذى استخدموه فى إنكار الوحى لتكون مقارعة الحجة بالحجة.

وإن تعجب من هؤلاء لإنكارهم اتصال السماء بالأرض عن طريق الوحى والنبوة، فالأعجب من أولئك جميعًا: اليهود والنصارى الذين يعترفون بأصل النبوة التى تقوم على جواز إخبار الله لبعض خلقه بالوحى والرسالة، بل ويعترفون ببعض الأنبياء.

---

(١) سورة النساء الآية (١٦٤).

obeikandi.com

ولكنهم ـ للأسف الشديد ـ يتفقون ـ رغم اختلافهم ـ على إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بالرغم من ثناء القرآن الكريم على الأنبياء والمرسلين من قبل محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام، إن اليهود يؤمنون بالأنبياء قبل عيسى عليه السلام، وإن كانوا يصفون الأنبياء بصفات لا تليق بالمؤمنين، فضلاً عن الأنبياء المرسلين، فهم يصفون إبراهيم عليه السلام بالكذب[١] وعدم المروءة، ولوط بالزنا[٢]، ويصفون نوحًا بالسكر والهوى[٣]، ويصفون داود عليه السلام بالزنا[٤]، وينكرون عيسى عليه السلام ويصفونه بالكذب والدجل والزنا[٥]، ويصفون أمه العذراء البتول التى اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ـ بالفاحشة ـ برأها الله مما قالوا.

فإذا ما وصلنا إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، فإن اليهود قد أنكروا نبوته صلى الله عليه وسلم، وناصبوه العداء منذ بعثته ودعوته فى مكة، قبل أن ينتقل إلى المدينة المنورة، وكانوا يستبعدون أن تأتى شريعة من عند الله، تنسخ شريعة التوراة فى زعمهم، ولقد عرضت أسباب إنكارهم لنبوة عيسى ومحمد عليهما السلام، وبينت الأسباب العامة والخاصة التى جعلتهم ينكرون نبوة محمد وعيسى عليهما السلام، ثم استخرجت نصوصًا من العهد القديم الذى يعده اليهود الكتاب المقدس عندهم..

هذه النصوص تقيم الحجة الدامغة على اليهود، سواء من ناحية البشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة، أو من ناحية بطلان النسخ الذى استندوا عليه فى رفضهم لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

وانتهيت إلى أن اليهود ـ كما أخبر القرآن الكريم ـ يعرفون محمدًا صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم، يقول تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٦].

---

(١) تكوين ١٢ : ١١/٢٠.
(٢) انظر سفر التكوين ٩ : ٢٠/٢٧.
(٣) سفر التكوين ١٩ : ٣٠/٣٧.
(٤) صموئيل الثانى ١١ : ٣/٢٦.
(٥) يوحنا ٨ : ٣٩/٤٣.
(٦) سورة الأنعام الآية (٢٠)، والبقرة الآية (١٤٦).

أما النصارى فإنهم يعترفون بالأنبياء قبل سيدنا عيسى عليه السلام الذى يَعُدُه النصارى إلهًا وابنًا للإله ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ومن بين الأنبياء الذين يعترف بهم النصارى آدم ونوح وإبراهيم وموسى، ولكن النصارى تتوقف عند عيسى، ولا يؤمنون بخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على الرغم من بشارة التوراة والإنجيل به.

ولقد حاولت فى جزء من هذه الدراسة أن أجيب على السؤال التالى:

لماذا ينكر النصارى واليهود، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟

ولقد ظهر لى أن هناك من الأسباب العامة والخاصة التى منعتهما من التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وتعجبت أن من بين الأسباب الرئيسية التى منعت النصارى من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وصف القرآن الكريم لعيسى عليه السلام بالعبودية، فقد اعتبر النصارى أن مجرد وصف عيسى بأنه عبد الله ورسوله سب له..

لقد جاء وفد نجران إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا: مالك تشتم صاحبنا؟ قال ما أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد الله ورسوله. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: "أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" [1].

فمجرد وصف عيسى بالعبودية اتخذه النصارى مانعًا من التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم، إذ كيف يكون الإله فى نظرهم عبدًا لله؟

ويضاف إلى أسباب رفضهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حب الرياسة والجاه والسلطان.

ولقد كنت أتمنى من النصارى على وجه الخصوص أن يردوا الجميل إلى الإسلام ونبيه الذى برأ عيسى وأمه مما وصفهما به اليهود، ولكن الأمنية شىء والواقع شىء آخر.

---

(١) انظر: تفسير الألوسى (١٨٦/٣)، ولباب المنقول فى أسباب النزول للسيوطى (ص ٨٥).

obeikandl.com

إننى أتمنى الآن أن يكف النصارى عن الهجوم على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، وأن يتجردوا فى دراسة الإسلام، ليصلوا إلى الحق المبين، والصراط المستقيم.

وأخيرًا أهتف بنداء القرآن الكريم الخالد: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

هذا وكفى بربك هاديًا ونصيرًا.

أ. د / فرج الله عبد البارى أبو عطا الله

أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة

(١) سورة آل عمران الآية (٦٤).

obeikandl.com